نعتقد بأن قصيدته الطويلة السلسلة الدماء ثورة فى الجحيم هى الصورة الصادقة لنفسيته، والمعرض لواضح لآرائه وأفكاره، والموضح الأمين لقوته وتزعزعه . أما فلسفته فى هذه القصيدة وتردده بين الإلحاد والاعتقاد وحيرته بين الشك واليقين فلا نحب أن نتعرض له الآن لأن التعرض له ليس من غرضنا فى هذه الكلمة.

ولنصغ الآن إلى ملكى القبر منكر ونكير وهما يسألان الميت فى قبره عن السفور والحجاب ، هذا الأمر الذى شغل الزهاوى زمنا طويلا واحتمل فى سبيله أذى كثيرا :

قال هل فى السفور نفع يرجى ... قلت خير من الحجاب السفور
إن فى الاحتجاب شلا لشعب ... وخفاء وفى السفور ظهور
ليس يأتى شعب جلائل ما لم ... تتقدم إناثه والذكور
إن فى رونق النهار لناسا ... لم تزل عن عيونها الديجور

بعد أن أتم الملكان احتجاجهما للميت عذباه عذاب القبر وأخذاه إلى الجنة ليجعلا من رؤيته لها عذابا له فوق عذابه . ثم أخذاه إلى الجحيم فقذفا به فى صميمه فالتقى هناك بالأشقياء المذنبين أمثاله؛ وهناك قد جمع الألم المشترك بين القلوب المتباعدة ، وكون العذاب بين المذنبين وحدة دفعتهم لأن يفكروا بالخلاص من عذاب الجحيم فعقدوا اجتماعا تبارى فيه الخطباء فى حض الجمهور المذنب على إنقاذ نفسه من بلاء الجحيم ، فقام شاب من شباب الجحيم وألقى خطبة تحريضية حرض فيها اللابين المذنبة فى ذلك الجحيم على الكفاح ضد الظلم والاستبداد

قال يا قوم إننا قد ظلمنا ... شر ظلم فما لنا لا نثور
اجسروا أيها الرفاق فما نا ... ل بعهد الآمال إلا الجسور
إنما فاز فى الجهاد من النا ... س بآماله الكبار الكبير
قاوموا القوة التى غشمت ... والدهر مادام للقوى ظهير

فتحمس سكان الجحيم حتى دفعت الحماسة أكثرهم رصانة كأبى العلاء المعرى فوقف هو الآخر يحرض الجمهور تحريضا عنيفا فقال :

غصبوا حقكم فياقوم ثوروا ... إن غصب الحقوق ظلم كبير

فرد عليه الجمهور الحانق الغاضب :

غصبوا حقنا ولم ينصفونا ... إنما نحن للحقوق نثور

وهنا قام سكان الجحيم قومة رجل واحد واندفعوا نحو الزبانية ، ووقعت المعركة الحامية ، فاحتل سكان الجحيم الجنة وأقاموا فيها منعمين مرفهين

محمد الحسينى

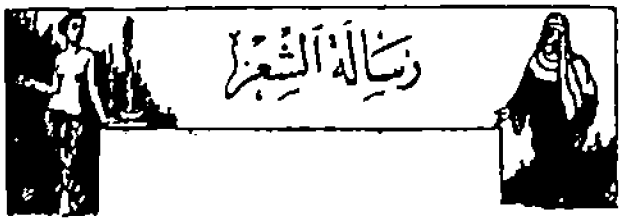

رحلة فى وجوه الناس

صحراء العجائب

« إلى أصحاب الوجوه المستعارة... »

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

تجولت فى صحراء تلك العجائب ... وفى سرها المطموس حول الحواجب
وعودت نفسى قبل أن أبدأ السرى ... لعلى أنجو من سموم العقارب
وقلت لعل الله ينصر رحلتى ... فأغنم صيداً نافراً لعقائبى
وألقيت أشراكى لها وحبائلى ... ومرت كحاو هام بين الخرائب
وتعويذتى الكبرى سكون بحوطه ... تربص شيخ مل طول التجارب

* * *

أمانك ربى ! ذلك الوجه ربوة ... تغنى بها الأطيار من كل جانب
تكاد تنادى العاشقين إلى الهوى ... وتجرى لهم أنهارها فى المتارب
مزرة الأغصان بالمطر والندى ... وهمس الصبا فى مرعشات الترائب
وتخفى دروباً فى الظلال لئيمة ... بها الريح ما أبقت حذاراً لهائب

مداد الحمى فيها أقام حبيبة
كريمات صب الموت فوق المماطل
تجود به سما تضيراً ممطرا
تدير به النجوى خدود الكواعب
وتجريه ضحاك الردى ، كل بسمة
تهب مع الساق بسهم وضارب
وقفت طويلا عند أعتاب روضها
وناديت رب الكون.. ماذا صاحبي!
أحرني ! فهذا الوجه كم صدت سره
ولو كان معصوما بقدر النياهب
فلم ألق إلا آدميا يسوءه
بجنبيه ذئب مستعار المخالب .

° ° °

ووجه به وجهـــان : وجه مقنع
بآخر مدسوس يزى المناكب
يجارى وجوه الناس فى كل نظرة
ويسرب فى إيمائها كالثعالب
ذليل لما يصغى إليه ، فسمعه
خطام ذلول فى حبال كواذب
ترى طرفه عبداً لعينيك ضارعاً
على أى حال من فنون التخاطب
تنوح فيموى ، أو تصيح فيمحى
ويصبح شيئاً من سكون الهارب
برت آية البهتان جلدة وجهه
مطايا رياء لا تضيق براكب
إذا قيل هذا الصخر ماء . . رأيته
يردد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا الماء نار . . رأيته
عليها مجوسيا عريق المذاهب
وإن قيل ثغر النار فجر . . رأيته
أذان مصل هز سمع الكواكب
وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته
من الثكل يستجدى دموع النوادب
تلاشى بلا موت ، وأودى بلا ردى
لعل بهذا النعش بعض المكاسب . .
أمانك ربى منه ! هـــذا منافق
أخف لقاء منه وجه المصائب
إذا انفردت بالله أباد نفسه
ـ وهيهات ـ بلقاه بزهو المحارب
وإن مر جلاب الفتات ، رأيته
بلا أى ذنب ، فى سرابيل تائب
تقوس واستخذى على الزور ظهره
وكبر لا لله ، بل للرغائب
فخلت صـــلاة لم يحن بعد وقتها
وظلا من الأوثان فوق المناصب ..

° ° °

ووجه سراب البيـــد يخشى ظنونه
فيزور عن رؤياه خوف المواقب
يمـــر به مر الظنون كأنه
من الذعر صدق مر فى وجه كاذب
وتمن فى تجـــواه عرافة الضحى
فتنكت فى خط على الرمل خائب
يعلم أجواز الفلا كيف تصطفى
لظلمائها ود الرياح الحـــواصب
تسمى على مرآته ، فهـــو صوبها
رؤى صـــدإ على الزجاجة هارب
يخـــادع حتى نفسه ، فطريقها
بجنبيه جب قاعه فى الجـــوانب
تهدج ، واستحيا ، وهوم ، واختفى
بجفنين سمـــاءين تحت السواكب
لهت فلاه من بعيد ، فصرصرت
بسمى رياح الخـــاتل المتشائب